ALMORTAJA.COM

تمت ترجمة هذه المقالة من قِبل مجموعة موقع المرتجى و تنشر و تتوزع تبرعياً.

أي نسخة من محتويات هذا المقالة دون ذكر المصدر غير جائزة وتحرم شرعاً

أي بيع مقالات هذاالموقع حرام شرعاًويخضع للملاحقة القانونية

محتويات

الحلول الاستراتيجية الثقافية للمجتمع والدولة الممهدة لمواجهة الصور المختلفة من الغزو الثقافي 2

مقدمة 3

الهوامش 9

الموضوع:

الحلول الاستراتيجية الثقافية للمجتمع والدولة الممهدة لمواجهة الصور المختلفة من الغزو الثقافي

الدكتور أحمد عبد الرحيم السايح

مقدمة

ولقد أفادت الدراسات: أن الثقافة في أي عصر ليست مجرد معارف ومعلومات تلقن، بل هي ثمرة ذلك التراث بحيث تظهر آثارها في المجتمع والأسرة والفرد.

وقد يكون واضحا: أن ثقافة الإنسان لا تقدر بمقدار ما قرأ من الكتب، وما تعلم من الفنون والآداب، ولكن بمقدار ما أفاده العلم، وبمقدار ما أوحت إليه الفنون من سمو في النفس ودقة في الشعور، وتذوق الجمال.

فالثقافة إذا تعني: السجية، أو البدهية فيما يتعلق بالفرد، وفيما يتعلق بالأمة فهي تعني شخصيتها وروحها، بحيث تكون ثقافة كل شعب مميزا له عن سواه[i].

ومما يلاحظه الباحث: أن كلمة "الثقافة" في الاصطلاح المعرفي في العربية وغيرها تفيد معنى ما يكتسبه الإنسان من ضروب المعرفة النظرية، والخبرة العملية.

وكذلك المعاني اللغوية التي وردت في اللغة تتصل اتصالا كبيرا بالتسوية والتعهد والتهذيب.

وإذا كانت الكلمة لم تجر على ألسنة الأسلاف من العلماء والمفكرين، فإن المضمون للكلمة كان واضحا لدى هؤلاء الأسلاف، فقد كان يعني في العصر في البداية المشاركة البارعة في فروع شتى من المعرفة، وبراعة في تطبيقها وتصريفها[ii].

وكان المفهوم العام للثقافة عند المسلمين يعني: جمع المرء لمجموعة من المعارف، وتحصيله اللغة وإجادته لآدابها، فلم تكن الثقافة تنفصل عن اللغة والأدب من شعر وحكم وأمثال، فضلا عن طرف من التاريخ والأنساب والمعارف العامة[iii].

ومثل هذا التنوع في الثقافة كانت ظاهرة عامة عند معظم الكتاب ورجال الحكم، وموظفي الدولة والشعراء[iv].

ذلك إن الثقافة في حقيقتها هي: الصورة الحية للأمة، فهي التي تحدد ملامح شخصيتها، وقوام وجودها، وهي التي تضبط سيرها في الحياة، وتحدد اتجاهها فيها.

إنها عقيدتها التي تؤمن بها، ومبادئها التي تحرص عليها، ونظمها التي تعمل على التزامها، وتراثها الذي تخشى عليه الضياع والاندثار، وفكرها الذي تود له الذيوع والانتشار وبالثقافة تواجه الصور المختلفة من الغزو الثقافي[v].

والأمم تقاس رفعة وانخفاضا بمقوماتها الفكرية، وقيمها الأخلاقية، وإنجازاتها العلمية، وقد كان للثقافة الإسلامية دورها العظيم في بناء الأمة الإسلامية، وترسيخ عظمتها، وتوطيد سلطانها، واستمرار عطائها.

ولا يكون المرء مبالغا إذا عرف: "أن الثقافة الإسلامية هي ثقافة خير أمة أخرجت للناس، تميزت بعقيدتها، ومنهجها، وقيمها، وأهدافها، وكانت هذه الثقافة عاملا أساسيا في إيجاد الأمة التي احتلت مركز القيادة الفكرية، والزعامة السياسية والصدارة العلمية في العالم مدة أربعة عشر قرنا من التاريخ البشري.

وأمتنا - في الوقت الحاضر - أحوج ما تكون إلى هذه الثقافة، فإنها هي التي تحفظ على الأمة شخصيتها الفريدة، وعن طريقها يرتبط ماضيها المشرق بحاضر نرجو أن يكون سبيلا إلى مستقبل زاهر وممهد لظهور الموعود"[vi].

ومما لا يحتاج إلى دليل أن: الذين اعتنقوا الإسلام وآمنوا به، رأوا أن حياتهم متوقفة على فهمه، وحمله للناس جميعا، كما رأوا أن الإسلام وحده أساس وحدتهم، وسبب نهضتهم وعزهم ومجدهم، لذلك أقبلوا عليه يدرونه ويتفهمونه.

والتثقيف بالثقافة الإسلامية ضرورة حياتية، سواء تعلقت الثقافة بالنصوص الشرعية أم بالحلول الإستراتيجية للمجتمع والدولة الممهدة أم بالوسائل التي تمكن من فهم هذه النصوص وتطبيقها، ولا فوارق بين التثقيف بالأحكام الشرعية، أو الأفكار الإسلامية[vii].

وفي حياة كل أمة مفاهيم أساسية تحرص عليها، وتعمل على ترسيخها، وتعميق إدراكها في شئونها الفكرية والاجتماعية، والاقتصادية، وغير ذلك من أمور الحياة.

وتسعى كل أمة سعيا حقيقيا دائبا، على أن تكون مفاهيمها واضحة الدلالة في ذاتها، مرعية الجانب لدى أبنائها، واسعة الانتشار والتداول لدى غيرها.

فتؤلف الكتب، وتعقد المؤتمرات، وتقوم بالدراسات، وتصدر النشرات، وتضع مناهج التربية والتعليم، وتستخدم بوجه عام كل وسائل الإعلام والتوجيه، لتوضيح هذه المفاهيم وشرحها وبيان أسسها وخصائصها، وتفصيل وجوه النفع فيها[viii].

وأكثر ما يهتم به قادة الفكر والثقافة، المؤمنون بمفاهيم أمتهم، الدائبون لنشرها، هو: نقلها من حيز النظر المجرد إلى الواقع البشري الحي، ووصل حياة الإنسان بها، بحيث تكون مصدر فكرهم وشعورهم، وطابع سلوكهم وسمة حياتهم العملية.

ومن هنا يخرج مدلول الثقافة عن قصد المعرفة المجردة، إلى المعرفة الهادفة التي تقدم حلولاً، أو بتعبير آخر: عن المعرفة الساكنة، التي لا تتجاوز حدود العمل الذهني، إلى المعرفة المحركة التي تحدث تفاعلاً، وحواراً واضح التأثير مع تطلعات الفرد والجماعة[ix].

ولا يعرف في تاريخ الأمم - ماضيها وحاضرها - أن واحدة منها أهملت في نشر ثقافتها، أو تركتها تذوب في ثقافة غيرها، أو تتلاشى في عقول أبنائها، لتحل محلها ثقافات أخرى طارئة غريبة.

إن للإسلام مفاهيم صحيحة سليمة كاملة في كل شأن من شئون الكون والإنسان والحياة، وإذا كانت المفاهيم عن هذه الشئون لدى كثير من الفلاسفة والمفكرين، وواضعي النظم من البشر تتسم بالغموض والتعقيد تارة، أو بجانبها الصدق، والعمق تارة أخرى، أو تصدر عن الفروض والتخمين حينا، وعلى الأساطير والأوهام حينا آخر.

فإن مفاهيم الإسلام مبرأة من هذه الآفات كلها، لأنها ليست منبعثة عن نظرة بشرية محدودة، لا تستوعب ذاتها، فضلا عن أن تستوعب غيرها، وهي تسفيه المنطق السطحي، وتهدم الظن والوهم، وتعده زراية بالعقل واستهانة بكرامة الإنسان.

أما الأساطير التي تصدر عنها تلك العقائد والتصورات فهي - في مفاهيم الإسلام - أشلاء ممزقة ميتة، لا يصدقها أو يتعلق بها من أوتي حظا من نظر وتفكير.

وهي ساذجة ضالة مردية، لا تليق بحقيقة هذا الإنسان الذي حباه الله العقل، وأرشده إلى دلائل المعرفة الصحيحة، وزوده بوسائل النظر السديد.

إن مفاهيم الإسلام منبثقة عن عقيدة ربانية شاملة، لا ترتكز إلا على الحقائق الجلية الثابتة، ولا تقوم إلا على اليقين الجازم.

وهي متسمة بالوضوح، والصدق، والعمق، وتقيم - من حيث الاعتقاد والتفكير - لدى البشر جميعا: التصور الصحيح الدقيق المتكامل للكون والإنسان والحياة ولذا يواجه بها المسلمون الغزو الثقافي والفكري[x].

إن منهج الإسلام في ارتكازه على الحقائق اليقينية الهادفة، يربط الحقائق المفردة في الكون والحياة ربطا يصلها بأجل حقيقة وأكبرها، وهي العقيدة، وبذلك لا يدع هذه الحقائق المثبوتة أمام العقل الإنساني والشعور بالضمير، ضروبا من المعرفة الجامدة، والمعلومات المجردة، التي لا روح فيها ولا حياة لها، كما تحاول خرافة المنهج العلمي أن تصنع.

بل يثبت منهج الإسلام في هذه المعارف والمعلومات والحقائق الظاهرة والمضمرة حياة تفتح البصائر، وروحا توقظ الضمائر، ويزودها بالتأثير العجيب الذي يعمل أوثق أواصر الصلة بين الحقائق الهادفة، والعقول المستنيرة، والقلوب المتفتحة للإيمان والخير[xi].

والثقافة عنصر مهم من عناصر حياة الأمم، تتبين بها صورة كل أمة، وتتميز بها صيغتها ولونها بين أقرانها، وهي تدل في الوقت عينه على تقدمها، وعلى درجتها في المدنية والحضارة، وهي تكون سبب كرامتها وزينتها أيضا[xii].

والثقافة وسيلة لغاية أبعد، وهدف أكبر، وهل ثمة أجل وأسمى من أن تستحيل الثقافة إلى طاقة محركة، وقوة دافعة، تصبغ الواقع الإنساني في إطار الضمير والشعور والسلوك بصبغة هذه المفاهيم النقية الخيرة، وتتمثل في حياة البشر نظاما وخلقا، وجهادا وحكما، وقيادة صالحة تحمل مشاعل الحق والنور لهذه الإنسانية التي وضعتها المفاهيم الضالة المنحرفة على حافة الدمار الرهيب، فينبغي أن تنقل هذه المفاهيم واقعا بشريا حيا، ونماذج إنسانية فاعلة، حتى لاتكون كالماء المسفوح على قيعان لا تمسكه، ولا تنتفع به[xiii].

لقد اشتملت هذه الثقافة على كل المعطيات التي تجعلها صالحة لتكون ثقافة الإنسان، ذلك أنها نظرت إلى فطرة الإنسان وعالجت غرائزه، واحترمت عقله، فكان لها في حياة الإنسان أهمية ومكانة تجعل الوقوف عليها، والأخذ بها واجبا على المسلم، بل على الإنسان.

ونستطيع أن نقول دون أن نكون بعيدين عن الواقع: إن الثقافة الإسلامية أصبحت في ظل انتشار الإسلام وظهوره. ثقافة إنسانية وعالمية، وقد انطوت على طاقة روحية جعلت منها قوة فاعلة وبانية، يضاف إلى ذلك: أن الثقافة الإسلامية تمتد على مساحة الدنيا والآخرة، وهذا الامتداد الزماني والمكاني الموغل في الأعماق، جعل الثقافة الإسلامية تختلف عن ثقافات، بعضها يتوغل في ماديات الحياة، ثم يضفي عليها مسحة من العبادة والفلسفة، وبعضها الآخر يسلك طريق الروحية التجريدية.

أما الثقافة الإسلامية: فقد جمعت بين الروح والمادة، ولهذا لاءمت حياة الناس.

ولما كان الإسلام دين قيم وضوابط سلوكية، كانت الثقافة الإسلامية موجهة ومربية، وتتصل بحياة الأفراد، وحياة الجماعات[xiv]، وتؤهل الإنسان للعطاء، وتنمي فيه القدرة على الإنتاج والإبداع بما تفتح له من آفاق التفكير والممارسة.

وتجعل الشخصية الإسلامية شخصية متزنة لا يطغى على موقفها الانفعال، ولا يسيطر عليها التفكير المادي، ولا الانحراف الفكري المتأتي من سيولة العقل وامتداد اللامعقول.

ومن المعروف: أن الإسلام قد وثب بالمسلمين وثبة هائلة. هذه الوثبة الهائلة كانت على أثر إشعاع القرآن الكريم في جنبات الدنيا والإنسانية، فأنارها بعد ظلمة، وهدى الإنسانية بعد حيرة، ونظمها بعد اضطراب، وفتق أذهان أبنائها بعد ارتقاق، وأزال الصفاد والقيود التي كانت تقف حجر عثرة أمام الفكر[xv].

فانطلق المسلمون يقرأون ويبحثون ويطلبون العلم في مظانه.

واستطاعوا في ظل الثقافة الإسلامية التي دعت الناس إلى معرفة كل ما من شأنه أن يأخذ بالناس إلى طريق الرشاد، أن ينتقلوا من أمة الأمية إلى أمة العلم والقيادة الفكرية، وأن يصبحوا أساتذة العلم والعالم، وقادة الفكر والرأي، ورواد المعرفة والحضارة.

وبحثوا، ودرسوا وأضافوا، وجددوا وابتكروا، فكان ذلك النتاج الحضاري الأصيل.

وإذا كانت الأمة الإسلامية في العصر الحاضر تتطلع إلى غد مشرق بالإمام المهدي، فإن الأمة تملك رصيدا ضخما من الثقافة الفاعلة يمكنها من نشر السلام في الأرض والإسهام في استقرار الجماعات ومواجهة التحديات.

ومما ينبغي أن نشير إليه: أن الأمة الإسلامية تحكم علاقتها وانفتاحاتها على الآخرين قاعدة أساس وهي صحة كل علاقة وسلامة كل حوار، وهي التزام مبادئ وقيم وتعاليم دين الله، وهذا بين في قوله تعالى: ﴿وَاحْذَرْهُمْ أَن يَفْتِنُوكَ عَن بَعْضِ مَا أَنْزَلَ اللهُ إِلَيْكَ﴾[المائدة: 49]

وقد يكون واضحا أن المسلمين وهم يعرضون مبادئ وتعاليم الإسلام على الناس، تحكمه قيم وآداب لا ينبغي للمسلمين تجاوزها ومخالفتها، ولا يصح معها تجريح وسباب معتقدات الآخرين، وهذا صريح في قوله تعالى:﴿وَلاَ تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ اللهِ فَيَسُبُّوا اللهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ [الأنعام: 108]

والمجتمعات الإسلامية وفق تعاليم الإسلام وقيمه مأمورة، بالتزام العدل وإنصاف الناس مع وجود الاختلاف في العقيدة وقيام الخصومة والشحناء معهم، حيث يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿وَلاَ يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى أَلاَّ تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى﴾[المائدة: 8]

إن منهج القرآن يعلم المسلمين ويؤكد عليهم: أن البشرية مدعوة بأمر ربها جل شأنه، للتعارف والتعايش وفق القيم والمعايير الربانية على اختلاف أجناسهم وأعراقهم وأديانهم وألوانهم، وإتيان الحق ومجانبة الباطل هو أساس التنافس بينهم، وهو أساس معيار القرب والبعد من تقوى الله ومرضاته، وهذا بين في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللهِ أَتْقَاكُمْ﴾ [الحجرات: 13]

ومجتمعات الأمة الإسلامية يحدوها وهي تنفتح على غيرها من الناس أن تنقل تعاليم الله وتوجيهات الرسول ﷺ التي تطالبها وتؤكد عليها السعي في تحقيق مصالح العباد، وجلب المنافع لهم، وأن ذلك السعي الصادق هو السبل لنيل محبة الله تعالى والفوز بمرضاته حيث جاء في الأثر: "الخلق كلهم عيال الله وأحبهم إلى الله أنفعهم لعياله".

وإن الإسلام يؤكد: أن أساس دين الله تعالى: يقوم على إقامة العدل بين الناس، وشيوع قيم الإحسان بينهم، والعمل على منافحة الفحشاء، والمنكر ومحاربة البغي في حياتهم.

وقد عظم فقهاء الإسلام قيم العدل، حتى جعلوه معيارا لنصرة الله وتأييده، وهذا كله في ضوء فهمهم لقول الله تعالى: ﴿إِنَّ اللهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾[النحل: 90]

والمسلمون يعتقدون بمشروعية التدافع الإنساني، ويؤمنون بأن منهجية التدافع بين الناس القائمة على أساس التنافس، في جلب المصالح، ودرء المفاسد، كفيلة بتحقيق الحياة الأفضل لهم جميعا، وتوافر الأمن والاستقرار، وصرف الفساد عن الأرض، وهذا مؤكد في قوله تعالى: ﴿وَلَوْلاَ دَفْعُ اللهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الأَرْضُ وَلَكِنَّ اللهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾[البقرة: 251]

ومن جهة أخرى: فإن التدافع بين الناس لجدير بحماية حرية الناس في معتقداتهم وأنماط حياتهم، وصيانة معابدهم على اختلاف مللهم، وهذا بين في قوله تعالى: ﴿وَلَوْلاَ دَفْعُ اللهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسمُ اللهِ كَثِيرًا﴾[الحج: 40]

ومن مفاخر الفقه السياسي في الإسلام، أن الشرائع جاءت لتحقيق مصالح العباد حيث إن مبناها يقوم على تحقيق المصالح ودفع المفاسد.

والأمة الإسلامية تعتقد وتؤمن في انفتاحها على الآخرين بأنها شريكة مع غيرها في منهج الاستخلاف لعمارة الأرض وليست محتكرة هذا المنهج، وأن غياب المسلمين أو تغيبهم عن المشاركة في منهج الاستخلاف، أو تجريد هذا المنهج من القيم الربانية، سيؤدي لا محالة إلى فساد الأرض ودمار الناس عليها، وهذا مؤكد في قول الله تعالى: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَرِهُوا مَا أَنْزَلَ اللهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الأَرْضِ فَيَنظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ دَمَّرَ اللهُ عَلَيْهِمْ وَلِلْكَافِرِينَ أَمْثَالُهَا﴾[محمد: 9-10]

إن مبادئ الإسلام وقيمه تعلم المسلمين وتؤكد عليهم في انفتاحهم، وألا يبخسوا الناس أشياءهم ولا يحتقروا كدهم جهدهم في كل عمل بناء، يحقق الإعمار والإبداع الحضاري، وتلزمنا تعاليم الإسلام احترام وتقدير كل عطاء خير في ميادين القيم والسلوكيات، وفي ميادين الماديات والوسائل والمهارات، وهذا يلتقي مع قيم وتوجيهات منهج الاستخلاف الرباني في عمارة الأرض[xvi].

لأن القرآن الكريم يعتبر احتقار سعي الناس، وبخس دورهم من العبث والإفساد الذي يمقته الإسلام، ومن ثم نهى عنه وهذا يتضح في قوله تعالى: ﴿وَلاَ تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلاَ تَعْثَوْا فِي الأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾[هود: 85]

إن الإسلام مثلما وضع ثوابت ومنطلقات، وقدم قيما ومبادئ كلية لضبط أدبيات ومقومات التعايش البشري والتعارف الإنساني.

فإنه أيضا وضع ثوابت ومنطلقات وقواعد وأسسا لضبط حركة مصالح الناس، وقدم أيضا قيما وأدبيات لإحكام سيولة تبادل المنافع بين المجتمعات، في إطار التعايش والتعارف بينهم[xvii].

وبعد: فإن المسلمين وفق هذا المنهج الرباني العادل، وموروثه القيمي والتشريعي وفي ضوء قدراتهم المادية والسياسية، يجدون أنفسهم مؤهلين كل التأهيل لأداء مهمتهم وإسهاماتهم الإيجابية الفاعلة في معترك التدافع الإنساني البشري، لإقامة نظام عادل واستقبال الموعود ينهي حال القلق والذعر التي تحيق بالناس، ويصرف أسباب الفساد عن الأرض، ويضع حدا لتدهور العلاقات في أكثر من موقع، ويزيل عوامل الاضطراب والجشع والصراع السياسي والاقتصادي بين الأمم.

ويضبط حركة التدافع الإنساني، ويقيم موازين القسط للتعايش، والتعاون البشري، ويرتقي بمنهج التبادل والتكامل، والانفتاح الثقافي، بما يحقق للناس تطلعاتهم لحياة الإنسانية آمنة مطمئنة تنعم بالأمن والاستقرار، والعدل، والسلام.

والمسلمون من أجل هذه المهمة الجليلة النبيلة - على استعداد إلى حوار بناء مع أي جهة معنية وفاعلة، شعبيا ورسميا، للسير بالإنسانية نحو الخير والفلاح[xviii].

وقد لا يخفى على أحد أن الأمة الإسلامية تمتلك رصيدا ضخما من القيم الهادفة يمكن استثمارها فيما يفيد الإنسانية جميعا، ونحن نشير إلى المعالم الإسلامية، نؤكد ما يلي:

أولا: أن الانفتاح الثقافي الذي ندعو إليه ينبغي أن يجنبنا عمليات فرض التجارب والنماذج الوافدة من بلدان وحضارات معينة، والتي يتم إسقاطها على واقع مغاير للواقع الذي بعثت فيه.

وأن نقل التجارب ونشر المفاهيم التي أفرزتها سياقات تاريخية واجتماعية معينة وتصدير البرامج، لا يمكن أن ينجح إلا في سياق تواصلي، ومناخ تفاعلي، ورؤية تبادلية تحترم خصوصية الآخر وذاتيته الحضارية والثقافية.

وفي هذا الإطار نحن نؤكد على أهمية الترابط الإنساني، ونرفض عمليات إسقاط المفاهيم وعلى واقع مختلف التضاريس، كما نرفض تعليب القيم، وإملاء التجارب.

ثانيا: كما أن مفهوم المسلمين للانفتاح لا ينفصل عن الأبعاد الخلقية للقيم الثقافية والدينية عموما، فثقافة المسلمين الإسلامية انبثقت تاريخيا عبر منظومة القيم التي كانت ولا تزال تمثل جزءا من رصيد الأمة الحضاري.

وهي منظومة تميز نسيج الأمة الاجتماعي بمختلف خلاياه، وإن إبراز البعد الخلقي في الانفتاح نابع من إحساس المسلمين وقلقهم مما يهدد وجودهم الحضاري بسبب انحرافات تجسدها المنافسة الشرسة التي باتت محكومة بمنطق الربح والخسارة، فضلا عن الكثير من الظواهر التي أبرزتها ظروف العصر، وباتت تهدد المجتمع.

ومع هذه المحاذير يتعين كذلك تبين طبيعة المعوقات التي تعترض طريق هذا الانفتاح، وبخاصة الحوار الإسلامي - الغربي، وفي مقدمها ما يشوب الصورة الغربية من سلبيات وتشويهات ليس المسلمون مسئولين عنها.

ثالثا: لقد أصبحت وسائل الإعلام والاتصال في الأيام الراهنة هي المسئول الأول عن عملية نقل صور الشعوب وثقافاتها وصياغة المواقف منها وحولها، ولا يخفى على أحد أهمية هذا الدور وخطورته في آن واحد، فالإعلام يبلور السياسات ويكون الاتجاهات ويوجه القرارات لدى الدول والجماهير في الوقت نفسه، وبخاصة مواقف التعاطف أو النفور.

إن صور المسلمين الحضارية في معظم وسائل الإعلام الغربية لا تعكس صورة المسلمين الحضارية، كما أن الأحكام المعيارية حولها لا تستند إلى موضوعية موثوقة.

رابعا: لقد بات من الضروري تصحيح صورة الحضارة الإسلامية المشوهة والمنقوصة لدى العالم الغربي، ويجب أن يعترف المسلمون بوجود جهل بهم أو تجاهل لهم، على الرغم من أنهم يعرفون تاريخ الغرب وحضارته ولغاته أكثر مما يعرف هو عنهم حتى أبناؤنا المهاجرون، على رغم أهميتهم الحضارية في بعض المجتمعات الغربية، لا يحظون في مجتمعات المهجر بالقدر الكافي، وكثيرا ما يؤدي التهميش والقيود إلى إبعاد الأجيال الجديدة لبعض الجاليات والإسلامية عن جوهر القيم الإسلامية الحقيقية، مما يفسح المجال أمام التغرير بالتنظيمات المتطرفة وتضليلها وتشجيع "إسلام الكهوف" كما قيل عوضا عن "إسلام النور".

ولا شك كذلك في أن هناك بعض جوانب الخلل في بعض المجتمعات، فيجب أن يعترف الناس بأنهم مقصرون في فهم الغرب أحيانا، مما سمح بتسرب بعض الأخطاء في مواقفهم وتقديراتهم.. فلابد من الانفتاح على ما حولنا، ولكننا بحاجة إلى المساعدة على اقتحام القرن الجديد في مجالات التكنولوجيا الحديثة، وفي مجال التعرف إلى التجارب الرائدة في التنمية، فمتى يتم إنشاء شبكة إعلامية دولية باللغات الحية تعرف بثقافة المسلمين؟

كما بات من الضروري مضاعفة الجهد لدعم حركة التعريف بثقافة المسلمين.

خامسا: والمواجهة الصحيحة تقتضي عملا يعمل، لاكلاما يقال، لأن أعداء الأمة يعملون. واذا رغبنا في مواجهتهم فلابد أن يكون العمل الاسلامي أزيد من عملهم، وتحرك المسلمين أسرع من تحركهم.

وان المواجهة تحتاج الي تخطيط، وتنظيم، ومنهج ومشروع حضاري كبير ينهض بالمجتمع الاسلامي ويؤهله لمواجهة التحديات.

سادسا: ان المجتمعات الاسلامية تعاني من التسلط الاستكباري في الصحافة وسائر وسائل الاعلام. اذن لابد للمجتمعات الاسلامية أن تكون علي قدر المسئولية. فتوحد صفوفها، وتتعرف علي امكانيات أعدائها، وتأخذبأسباب القوة انطلاقا من قول الله تعالي في سورة الأنفال (وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم وآخرين من دونهم لاتعلمونهم الله يعلمهم).

سابعا: يعمل المصلحون علي تدعيم الوحدة بين المسلمين حتي تكون المجتمعات الاسلامية متلائمة الصفوف، فيهابهم الأعداء، ويتخوفون من بأسهم.

وفي الختام، فإن تحقيق الانفتاح يتطلب استمرار بذل الجهود والمحاولات، لأنه مهدد باستمرار ببعض الأخطار والمنزلقات، فالانفتاح ليس في مأمن من التوتر والتأزم والتعثر والركود.

والانفتاح عملية تفاعلية، لا يمكن أن تعلب أو تفرض، لكن المهم الوعي والاقتناع بأن ما يعتري الأمة أحيانا من الانتكاسات إنما هو أمر مرحلي وعادي، ومن المفروض أن يدفع بالمسلمين إلى مزيد العمل من أجل المرتكزات التي أسلفنا ذكرها تسندها في ذلك مؤسسات المجتمع المدني[xix].

إن الانفتاح الحقيقي على الحضارات يشكل أبرز التحديات التي يواجهها العالم اليوم، فهو شرط أساسي من شروط التعايش السلمي بين الشعوب.

الهوامش

[i]. معهد الإنماء العربي الموسوعة الفلسفية العربية ط ص 28، ط بيروت، سنة1986م.

[ii]. عبد الله العلايلي، مادة "ثقف".

[iii]. د. محفوظ علي عزام، نظرات في الثقافة الإسلامية، ص12.

[iv]. المصدر السابق، ص12.

[v]. المصدر السابق، ص13.

[vi]. عز الدين الخطيب التميمي وآخرون، نظرات في الثقافة الإسلامية، ص3، ط/دار الفرقان، عمان الأردن، سنة 1404هـ/1984م.

[vii]. مسيح عاطف الزين، الثقافة الإسلامية، ص41، دار الكتاب اللبناني، بيروت، سنة1403هـ/ 1983م.

[viii]. عمر عودة الخطيب، لمحات في الثقافة الإسلامية، ص11.

[ix]. المصدر السابق، ص12.

[x]. عمر عودة الخطيب، لمحات في الثقافة الإسلامية، ص53-54.

[xi]. المصدر السابق، ص54.

[xii]. محمد الرابع الحسني الندوي، الثقافة الإسلامية والواقع المعاصر، ص57، ط/دار الحصورة بالقاهرة، سنة 1410هـ

[xiii]. عمر عودة الخطيب، لمحات في الثقافة الإسلامية، ص54.

[xiv]. سميح عاطف الزين، الإسلام وثقافة الإنسان، ص38، ط/بيروت، سنة 1983م.

[xv]. راجع الدكتور أحمد السايح، المعرفة في الإسلام بين الأصالة والمعاصرة، ص60، ط/دار الطباعة المحمدية بالقاهرة.

[xvi]. انظر الدكتور عباس الجراري، الإسلام والنظام العالمي، ص13.

[xvii]. انظر الدكتور حامد الرفاعي، الإسلام والنظام العالمي الجديد، ص130-131.

[xviii]. المصدر السابق، ص130.

[xix]. المصدر السابق.